



معرف الكائن الرقمي للمقال: 10.54239/2319-022-999-007 (DOI)

إسهامات علماء المغرب الأوسط في انتقال وانتاج العلوم الطبية ما بين القرون (06-09 هـ / 12-15 م).

The contributions of Middle Maghreb scholars to the transmission and production of medical sciences between the centuries (06 AH-09 AH / 12-15 AD).

د. فافة بكوش *

جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة / الجزائر

bekkouchefaffa20@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/19 تاريخ المراجعة: 2023/03/01 تاريخ القبول: 2023/07/02

الملخص:

عرفت العلوم الطبية نشاطا ملحوظا بالمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن 06 هـ / 12 م إلى القرن 09 هـ / 15 م، نتيجة تأثير النخبة الأندلسية التي اختارت حواضر المغرب الأوسط موطنها لها والذين صحبتهم إليه خبراتهم الطويلة ومعارفهم الكثيرة في الطب، وعناية الخلفاء والسلطين الشديدة للدراسات الطبية، بحرصهم على تقريب الأطباء وتوفير جميع الإمكانيات المعنوية والمادية لهم، كإنشاء المكتبات وتوفير نفائس الكتب وبناء المدارس والبيمارستانات، التي كانت بمثابة كليات ومعاهد لتعليم وتدريب الطلاب واستقبال الأطباء الأكفاء لمداواة المرضى ومعالجتهم، فنبح ببجاية وتلمسان وقسنطينة خلال العهد الموحد والزياني علماء أطباء أمثال "ابن إندراس" و"أبو الفضل المشدالي" و"ابن القنفذ القسنطيني" و"ابن فشوش" و"التلايسي" و"أبو إسحاق الثغري" وغيرهم كثير، فكان لهم وقع كبير في تطور العلوم الطبية خلال الفترة وتخصصاتها كتقدم طب الأمراض النسائية والتوليد وطب الأسنان

* د. فافة بكوش / جامعة سعيدة



وطب العيون، فبرز دورهم الواضح في الوصف والتشخيص والعلاج، وإجراء التجارب واستنباط النتائج وإجراء العمليات، وتدريس علوم الطب النظرية والعملية، كذا فيما قدموه من مدونات ونتائج طبية شكلت فيما بعد أساسا في الطب.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط؛ الحركة الطبية؛ ابن إندراس؛ البيمارستان؛ الأمراض؛ العلاج؛ الأعشاب الطبية؛ الأطباء؛ التدابير الوقائية.

Abstract :

This study aims to highlight the images of the scientific contribution of Middle Maghreb scholars in the preservation, transfer and production of medical knowledge during the period from the 06 AH / 12th century AD to the 09 AH / 15th century AD, as medical sciences knew a remarkable activity during that period, as a result of the influence of the Andalusian elite that chose the metropolises of the Middle Maghreb as their home. Her and those who accompanied them to him had their long experience and knowledge in medicine, as well as the intense care of the caliphs and sultans for medical studies. Valuable books and building schools and bimaristans that served as colleges and institutes for teaching and training students and receiving qualified doctors to treat patients and treat them with medicine. So, in Bejaia, Tlemcen and Constantine during the Almohad and Zayani era, medical scholars such as "Ibn Andras" and "Abu Al-Fadl Al-Mishdali" and "Ibn Al-Qunfud of Constantine" and "Ibn Fashush, Al-Talalisi, Abu Ishaq Al-Taghary, and many others had a great impact on the development of medical sciences during the period and its specialties, such as the advancement of gynecology, obstetrics, dentistry, and ophthalmology, as well as the advancement of pharmacology and science. Their clear role in description, diagnosis and treatment, conducting experiments, eliciting results and conducting operations, teaching theoretical and practical medical sciences emerged through their medical blogs and products that later formed the basis of medicine.



Keywords : Central Morocco; medical movement; Ibn Andras; bimaristan; diseases; treatment; Medical Herbs; the doctors; Preventive measures.

-مقدمة:

لا مرأى في أنّ الحالة العلمية بالمغرب الأوسط عرفت نشاطا ملحوظا خلال الفترة الممتدة ما بين القرن (06 و09هـ/12-15م)، أسهم فيها بجليل الأعمال وأضاف إضافات مهمة لتراكم الخبرة العلمية في مختلف مجالات العلم والمعرفة والإبداع، بحيث أصبحت حواضره كقسنطينة وبجاية وتلمسان تتوفر على الكثير من العلماء الذين ساهموا في دفع الحركة العلمية والفكرية بها، إذ كانت إسهاماتهم متنوعة تخص جميع المجالات من ذلك مشاركتهم في التأليف، بحيث تركوا تراثا فكريا زاخرا شمل مختلف العلوم العقلية والدينية، وإلى جانب ذلك شمل إبداعهم أيضا العلوم العقلية والطبيعية، فكان علم الطب واحدا من العلوم التي اهتم بها علماء المغرب الأوسط وجعلوه من العلوم المستحبة والضرورية للإنسان، باعتباره يحفظ سلامة المجتمع وبنيتة الجوهرية من العلل والأمراض، وعلى هذا الأساس نجد الكثير من علماء المغرب الأوسط قد عززوا معارفهم الشرعية بصناعة الطب وما يتصل به من نفسانيات وصيدليات، فأخذوا من المنبعين لضمان التوازن بين المادة والروح، بناء على قول "الشافعي": "إنما العلم علمان: علم الدين وعلم الدنيا، فالعلم الذي للدين هو الفقه والعلم الذي للدنيا هو الطب"، وفسحوا المجال للبحث فيه والقيام بالتجارب الميدانية والملاحظة السريرية والمشاهدة الإجرائية، وتمكنوا خلال ذلك من وضع الأسس المنهجية العلمية، فركزوا على البحث النظري والعملية لمعرفة وظائف الأعضاء والإمام بكل ما وصل إليه العلم الطبيعي.

تأسيسا لذلك تسعى هذه المساهمة إلى النظر في جهود علماء المغرب الأوسط في تطور العلوم الطبية خلال الفترة الممتدة من القرن 06هـ/12م إلى القرن 09هـ/15م، خاصة الجوانب المتعلقة بالدرس والتدريس وحركة التأليف في مجال الطب.

وتتمحور الإشكالية التي نطرحها ضمن هذه الدراسة حول إبراز صور الإسهام العلمي لعلماء المغرب الأوسط في نقل وانتاج المعارف الطبية والمحافظة عليها.

وللإجابة على الإشكالية اشتمل البحث على العناصر التالية:



* واقع الحركة الطبية بالمغرب الأوسط ما بين القرون (06-09هـ/12-15م).
* العوامل المؤثرة في تطور العلوم الطبية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (06-09هـ/12-15م).

* مساهمة علماء المغرب الأوسط في إنتاج وتحصيل المعرفة الطبية.

1- واقع الحركة الطبية بالمغرب الأوسط ما بين القرون (06-09هـ/12-15م):

1-1 الاهتمام بالحركة الطبية بالمغرب الأوسط ما قبل القرن 06هـ/12م:

يصنف علم الطب ضمن العلوم العقلية، وهو فرع من فروع الطبيعيات يهتم بجسم الإنسان وقت الصحة وأثناء المرض (أنظر التعليق رقم 1) (ابن خلدون، 2016، صفحة 405)، (ابن سينا، 1999، صفحة 13)، فقد جاء عن "جالينوس" (أنظر التعليق رقم 2) على أنه: "حفظ الصحة وإزالة العلة" (القونجي، 1948، صفحة 353)، وبهذا فالطب ينقسم إلى قسمين: حفظ صحة موجودة، أو رد صحة مفقودة، فأما حفظ الصحة الموجودة فهو مراعاة حفظ الصحة في حال عافية البدن والنظر في عاقبته، لأن العاقل هو الذي يتدبر الأمر قبل الوقوع فيه، وأما رد الصحة المفقودة فهو معالجة الأبدان بالأدوية عند وقوع المرض.

اهتم علماء المغرب الأوسط بالعلوم الطبية والصيدلية اهتماما كبيرا على غرار علماء العرب منذ بداية الدولة الإسلامية لا سيما بعد إدراكهم لتفوق غير المسلمين منهم في المعارف الطبية (القعود، 2016، صفحة 2)، فقد حفظت لنا بعض المضان التاريخية بإشارات حول تفوق اليهود في الطب، من ذلك قصة عن "أبي عبد الله المازري"، الذي أشار إليه "ابن فرحون" في كتابه "الديباج" بأنه: "مرض فكان يطبه يهودي، فقال له اليهودي: يا إمام أنتم تعلمتم علوم دينكم، وتركتم علوم أبدانكم، وأي قرية أجدها في ديني مثل أن أفقد المسلمين عالما مثلكم في هذا القطر، فأخذت هذه المقالة في نفس المازري فمن حينئذ نظر في الطلب" (ابن فرحون، د ت، صفحة 252).

في الواقع أنّ العناية بالعلوم الطبية ببلاد المغرب عامة مرت بمراحل هامة، حيث تعود النواة الأولى للحركة الطبية به إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بوفادة الطبيب السرياني "يوحنا بن ماسويه" (أنظر التعليق رقم 3) (الزركلي، 2002، صفحة



(211) إلى القيروان في صحبة الأمير "يزيد بن حاتم المهيلي" (التليسي، 2003، صفحة 489)، ثم أخذت تبرز بشكل واضح في عهد إمارة الأغالبة بفضل الحركة العلمية التي قادها أمراؤها الذين عملوا على استقدام الأطباء من المشرق والاستعانة بهم في العلاج والتدريس (شحات، 2013-2014، صفحة 20)، كالطبيب "إسحاق بن عمران" الذي ساهم في نشر الثقافة الطبية من خلال تلامذته ومؤلفاته التي خلفها (ابن أبي أصيبعة، 1988، صفحة 748)، (التليسي، 2003، صفحة 490) ويظهر جليا أن أمراء الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط قد أدركوا أهمية علم الطب، ففي هذا الشأن يذكر "ابن الصغير" أن الأطباء في تهرت كانوا من اليهود والنصارى، وكان لهم درب يعرف بالرهادنة (ابن الصغير، 1986، صفحة 102)، أما الباحث "ابراهيم بكير بحاز" فيرى أن الرستميين أتقنوا الطب ما دام بيتهم بيت علم، ومكتبتهم زخرت بإرث فكري كبير في مختلف العلوم منها أمهات الكتب الطبية (بحاز، 1993، الصفحات 373-374)، كما اهتموا بالكيمياء في صناعة العقاقير والأدوية (قراوش، 2018-2019، صفحة 144)، وممن زاول مهنة الطب من الرستميين نجد "محمد بن سعيد" أحد أحفاد عبد الرحمن بن رستم، غير أنه كان مقيما في الأندلس (بحاز، 1993، صفحة 374) (مطهري، 2009-2010، صفحة 291).

ثم إننا نجد الدولة الحمادية بدورها اعتنت بمختلف العلوم والمعارف بما فيها علم الطب، فبرز فيها الطبيب "ابن أبي المليلح" الذي عدّ طبيا مشهورا وماهرا، و"ابن النباش البجائي" (توفي أواخر القرن 5هـ) الذي كان نابغا في المعارف الطبية، مواظبا على علاج المرضى في بيمارستانات بجاية، و"أبو جعفر عمر بن البيدوخ القلعي" (ت 575هـ/1079م) وقد كان خبيرا في الأدوية وترك كثيرا من الكتب في الطب، و"محمد بن أبي بكر المنصور القلعي" الذي نبغ في الطب (عويس، 1991، صفحة 270). ثم نمت واتسعت العلوم الطبية في عهد المرابطين الذين عملوا على الاستفادة من أطباء الأندلس، بحيث يمكن اعتبار القرن 5هـ/11م قرن الطب بالأندلس، فكان لذلك



الأثر البالغ على تطور الحركة الطبية ببلاد المغرب الإسلامي عامة، بحيث عرفت خط التطور الفعلي بمجال المغرب الأوسط في عهد الموحدين، غير أن الوثبة الكبرى كانت في عهد بني زيان نتيجة تطور الحركة العلمية، فماهي أبرز العوامل التي ساهمت في تطور وازدهار العلوم الطبية بمجال المغرب الأوسط ما بين القرن 6 و9 الهجريين/12-15م؟

2-1- العوامل المؤثرة في تطور العلوم الطبية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (09-12هـ/15-12م):

بالنظر إلى أهمية علم الطب التي تتجسد من خلال العلاج والدواء امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم "يا عباد الله تداوا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء"، فقد اهتم علماء المغرب الأوسط على غرار العلماء المسلمين بمختلف الأقطار بالعلوم الطبية وساهموا في تطويرها وازدهارها في الفترة الممتدة من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين (12-15م)، ولعل الأمر راجع في ذلك إلى:

2-1-1- هجرة علماء الأندلس إلى المغرب الأوسط:

الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان أن القرن 6هـ/11م مثل ذروة المجد والتطور الأندلسي لعلوم الطب والصيدلة، مما أنتج تراكما معرفيا لعلماء القرن السابع هجري (زرهوني، 2001-2002، صفحة 27)، بحيث عرف الطب طريقه من الأندلس نحو حواضر المغرب الأوسط خلال الفترة عقب تهاوي حواضر المسلمين به، فكان من حظ حواضر المغرب الأوسط أن يدخلها أفواج المهاجرين الأطباء والذين صحبتهم إليها خبراتهم الطويلة ومعارفهم الكثير في الطب (عمارة، 2016، صفحة 171)، فعملوا على تدريس المفاهيم والنظريات الطبية، وإجراء التجارب الطبية التطبيقية مع ما يصحبها من معرفة بالأدوات والأمراض وما يلائمها من الأدوية، فضلا عن إثرائهم مجال التأليف في الأدوية والحشائش الطبية والأمراض المنتشرة (عمارة، 2016، صفحة 172).

وربما هو ما نلمسه في حاضرة بجاية على سبيل المثال التي أصبحت مقصدا للأطباء وعلماء التطبيق الأندلسيين بوجه خاص، أين مارسوا مهامهم الطبية النبيلة ودرّسوا مؤلفاتهم في جو أكثر استقرارا وأمنا (برونشفيك، 1988، صفحة ج1 ص 70، ج2 ص 389)، فمن خلال المصادر التاريخية والتراجم الخاصة بأعلام الأندلس الذين مارسوا



مهنة الطب ببجاية تأتي على ذكر على سبيل المثال لا الحصر "علي بن عيسى بن مؤمن الأنصاري" (ت598هـ/1202م) من أهل قرطبة، كان مشاركا في علم الطب وموفقا في العلاج، وله تأليف في ذلك (الذهبي، 1993، صفحة 360)، و"أحمد بن أبي خليل مفرج الأموي" (ت637هـ/1240م) الذي كان أعجوبة زمانه في معرفة علم النبات وتمييز العشب وتحليلها على حد تعبير "ابن فرحون" (ابن فرحون، الصفحات 191-192)، وكذلك الطبيب الماهر "أبو الحسن يحيى المعافري المعروف بابن الحاج" (ت718هـ/1218م) من أهل شاطبة وفد إلى بجاية رفقة الأمير الحفصي "أبي فارس" وجلس بها للطبيب، "فكم صنع من الأدوية للأرامل، وشفى من العلل أهل الأقال والبلابل، تغنيك رؤيته عن رؤية جالينوس، ومنظره وعدوبة مقاصده كم نفت عن عليل البؤس، لم يضجر قط من ثقل لا يحسن السؤال، معني عارفا بمقاصد الحكماء والأطباء" (زينب، 2015-2016، صفحة 330).

ولعل أشهرهم في القرن (07هـ/13م) الطبيب "أبو القاسم الأموي المكنى ابن إندراس" (ت674هـ/1274م) (أنظر التعليق رقم4)، الذي يعدّ من أهم الأطباء الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب الأوسط، أين استفاد منه طلبة العلم ببجاية خلال الفترة، فكان من أشهر تلامذته "الغبريني" الذي قال عنه: "وتبسّط للطب طبيا باحثا جيدا، وله معرفة بعلم الأدوية... وكان رحمه الله متولا طب الولادة ببجاية هو وبعض خواص الأطباء بها" (الغبريني، 2007، الصفحات 37-38)، فعرفت نتيجة ذلك حاضرة بجاية نهضة علمية شاملة وازدهار العلوم المتعددة بما فيها الطب، ففي هذا الصدد يشير "الغبريني" إلى أنّ الأبحاث العلمية في الطب كانت جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجلية (الغبريني، 2007، صفحة 38).

وحاضرة تلمسان هي الأخرى واحدة من الحواضر التي عرفت هجرة أندلسية كبيرة، فقدم إليها من الأطباء على سبيل المثال لا الحصر "أبو الحسن علي بن موسى بن شلوط البَلَنَسِي" الذي هاجر بلده من الأندلس واختار دخول المغرب الأوسط واختار منه تلمسان محترفا الطب ماهرا فيه" (عمارة، 2016، صفحة 172)، و"أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الشاطبي التلمساني" الطبيب المبارك على حد تعبير "ابن مرزوق



الخطيب" (الخطيب، 2008، صفحة 230)، فقد كان الطبيب الخاص للسلطان "أبو تاشفين الأول" (ت 737هـ/1337م).

1-2-2- تشجيع سلاطين وأمراء المغرب الأوسط لصناعة الطب:

أولى سلاطين وأمراء المغرب الأوسط الدين تعاقبوا على حكمه خلال الفترة عناية كبيرة للدراسات الطبية، وذلك بتشجيع القائمين عليها وتأسيس البيمارستانات (أنظر التعليق رقم 4)، وتنظيم مهنة الطب، واتخاذ التدابير الوقائية أيام الأوبئة وغيرها (طه، 2001، صفحة 302)، فقد عرفت هذه العلوم دفعا قويا خلال حكم الدولة الموحدية لاسيما بعد ضم الأندلس لها، أين سعى خلفائها للمضي بالطب، فاستحدثوا منصب جديد يعرف باسم مزوار الأطباء (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1988، صفحة 531)، واستقطبوا العديد من الأطباء ورفعوا من شأنهم حتى شاركوهم مجالسهم، من ذلك استقدام الخليفة "المنصور" للطبيب "أبو إسحاق إبراهيم الداني" من علماء بجاية وجعله طبيبه الخاص، وأميناً عاماً على مرستان مراكش، فبقي يشغل منصبه هذا إلى غاية وفاته في عهد الخليفة "المستنصر" (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1988، صفحة 537)، ويمكن أن نشير في هذا المقام أيضاً إلى الطبيب "أبو عبد الله محمد بن سحنون الندرومي" (ت 634هـ/1238م) الذي كان واحداً من أطباء الأمير الموحي "محمد الناصر" (ت 610هـ/1214م)، ثم طبيب ابنه "المستنصر يوسف بن محمد" (ت 620هـ/1224م)، ثم المتوكل على الله "محمد بن يوسف" (ت 634هـ/1238م) (خياطي، 2011، صفحة 80).

ولا نجانب الصواب إذا قلنا أنّ سلاطين بني زيان كانوا أقل عناية من الموحدين بالطب، وهو ما نلمحه في شخص السلطان "أبو حمو موسى الثاني" الذي كان يوصي ولي عهده باتخاذ طبيباً لنفسه يكون على قدر كبير من الثقة، قائلاً له: "يا بني، واختبر لنفسك طبيباً ماهراً، عاقلاً أديباً فاضلاً ثقة محباً ناصحاً، ومع هذه الصفات لا تمكنه من نفسك حتى لا يكون أعلم منك من نفسك، فإنّ اتخاذ الطبيب قوة للقلب وراحة للنفس وهو وإن كان له في الحكمة أوضح دليل، وكان كما وصفناه فهو في الحقيقة



علي، وإنما الطبيب له آلة السماء فنعم الطبيب ونعم الوكيل...." (الزياني، 1982، صفحة 43).

وبالرجوع إلى المعطيات التاريخية سيظهر لنا من دون شك أن سلاطين بني زيان وذوي النباهة من أبناء العاصمة الزيانية تلمسان وعلمائها قد أولوا الدراسات الطبية العناية والاهتمام وشجعوا القائمين عليها، وقد كان هذا الاعتناء من السلطة دافعا نحو الاهتمام به لأنه كان يوصل إلى الخطوة عند الملوك، حتى ظهرت ظاهرة الفقهاء الأطباء بالرغم من كثرة طلاب دارسي علوم الأوائل (بوشقيف، 2010-2011، صفحة 259).

ومن صور ذلك تقريب السلطان "أبو تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م) للطبيب الفقيه "أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الحكيم التلمساني" ورعايته حتى صار طبيبه الخاص (فيلاي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، 2014، صفحة 121)، والأمر نفسه بالنسبة للطبيب "أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التاليسي" الذي اختصه السلطان "أبي حمو موسى الثاني" فكان طبيب البلاط، والطبيب "موشى بن صمويل المالقي الأندلسي" الذي كان هو الآخر الطبيب الخاص للبلاط الزياني والمقرب من أمرائه (فيلاي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، 2014، صفحة 121).

ونسجل في هذا المقام ملاحظة نراها هامة وهي حرص السلاطين والأمراء خلال الفترة على اقتناء نفائس الكتب وتجميع مصادرها من مختلف أقطار بلاد المغرب والأندلس والمشرق لتدريس الطب والصيدلة، مما أدى إلى إثراء خزائن ومكتبات المغرب الأوسط بهذه المصادر، حيث تشير بعض النصوص إلى وجود أكثر من ثلاثمائة عنوان لمصنفات الطب والصيدلة في خزائن حواضر المغرب خلال العهد الزياني (فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، 2002، صفحة 248)، والتي من دون شك كان لها وقع كبير في ازدهار الطب وتخصصاته كتقدم طب الأمراض النسائية والتوليد وطب الأسنان وطب العيون إلى جانب تقدم علم الصيدلة والعلوم الطبيعية والبيطرة وعلم النبات.

1-2-3- إقامة البيمارستانات:



ازدهرت البيمارستانات في عصر الحضارة الإسلامية ازدهارا كبيرا، فانتشرت في شتى بقاع الامبراطورية الإسلامية من بغداد شرقا إلى بلاد المغرب والأندلس غربا، وتعددت أنواعها فكان منها ما هو خاص بعلاج الأمراض العقلية والجذام، ومنها ما هو عام لجميع الأمراض (بلعربي، 2021، صفحة 50)، ورغم قلة المعلومات حول البيمارستانات بالمغرب الأوسط، إلا أنه بالنظر إلى الرعاية والاهتمام التي تم إيلائهما للصحة، فلا مجال للشك في أنه تم تأسيس المشافي بحواضره، ففي بجاية وجدت بيمارستانات جيدة البناء حسب شهادة "حسن الوزان" (الوزان، 1983، صفحة 50)، جهزت بكل أنواع العلاج المتوفرة في ذلك العهد، كما تم جلب إليها مجموعة من الأطباء لتقديم المساعدات الطبية ومعالجة المرضى من عامة الناس من المجتمع البجائي إلى جانب تدريس مختلف العلوم الطبية (موسى، 2001-2000، صفحة 2016)، وأقام فيه الصيادلة لعمل الأشرطة والأدهان والإكحال للمرضى، وقد اختير لهذه المستشفيات أماكن جد مناسبة وجميلة تقع بأعدل موقع في البلد على أحسن وجه (الوزان، 1983، صفحة 81).

وربما تأخر بناء البيمارستانات بحاضرة تلمسان عن باقي أمصار المغرب بدليل الحديث الذي جرى بين "محمد بن مرزوق التلمساني" مع أحد أعلام تلك الفترة "علي بن محمد بن مسعود" حول ضرورة بنائها (شخوم، 2013، صفحة 518)، فالراجح أن بناء أول بيمارستان بتلمسان يعود إلى عهد السلطان المريني "يوسف بن يعقوب" بالمنصورة" في الفترة التي سيطر فيها على تلمسان (698هـ-707هـ/1299-1307م) (عادل، 1987، صفحة 48) نظرا لاشتهاره ببنائها، ولعله جهّزه بكل ما يحتاجه من أطباء وعلماء لصناعة الأدوية ومختلف متطلباته للقيام بمهمته الصحية.

ومن دون شك ساهم بنو زيان من جانبهم في تأسيس البيمارستانات بتلمسان، ولا أدل على ذلك من بروز أطباء أبدعوا في علم الجراحة كالطبيب أبو عبد الله محمد بن أبي موسى التلاليسي" (ت بعد 767هـ/1362م) الذي أجرى عملية جراحية لأمعاء السلطان المريني "أبي يعقوب" بعد إصابته في بطنه في حصار المنصورة (فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، 2002، صفحة 248)، فلا يمكن لهذا الطبيب أن يجري عملية جراحية دون أن يكون هناك بيمارستان ليعينه على إجراء تجاربه الطبية، فربما شيد السلطان الزياني



"أبو تاشفين الأول" بدوره بيمارستان بالعاصمة الزيرية بالنظر إلى ولوعه بالبناء والتشييد، وبنى السلطان "أبو حمو موسى الثاني" بيمارستانا (فيلاي، تلمسان في العهد الزيري، 2002، صفحة 247).

ومهما يكن من أمر فقد كان لهذه البيمارستانات التي كانت تحتوي كراسي لتدريس علم الطب دور في ظهور التعليم الطبي النظامي وفي تدريس وتدريب الطلاب واستقبال الأطباء الأكفاء لمداداة المرضى ومعالجتهم وغيرها (فيلاي، تلمسان في العهد الزيري، 2002، صفحة 247)، وللإشارة في هذا الشأن فإن بني زيان قد نصبوا محتسبا يتصدى لمدي الطب لجزهم عن الاشتغال بما لا يتقنونه، ويراقب صناع العقاقير، وهو ما يشير إلى حرص الدولة على صحة الناس وجعلها بين أيدي أمينة تملك المعارف اللازمة لممارسة حرفة الطب حتى لا تصير بأيدي المغامرين بصحة الناس.

2- توطن الأمراض بالمغرب الأوسط:

تأثر مجتمع المغرب الأوسط خلال الفترة كغيره من المجتمعات الإسلامية تأثرا شديدا بالكوارث الطبيعية وبالمجاعات الناتجة عن الجفاف والأعاصير والأزمات السياسية كالحروب التي كانت تحدث من حين لآخر، ناهيك عن الأوبئة الفتاكة التي كانت تحصد أرواح الناس خاصة منها وباء الطاعون الذي يعدّ أشدّ الجوائح الطبيعية وأكثرها فتكا للبشرية، (مزدور، 2008-2009، الصفحات 127-144)، فضلا عن انتشار أمراض أخرى نفسية وعضوية في مجتمع المغرب الأوسط كمرض الحنجرة والإسهال، ومرض الدمايل والأورام وغيرها من الأمراض (فيلاي، تلمسان في العهد الزيري، 2002، صفحة 243).

أمام هذه الوضعية الصحية الصعبة التي عاشها مجتمع المغرب الأوسط دعت الحاجة إلى الاهتمام بالطب زيادة على شرفه ومكانته، فعمل الأطباء على البحث لإيجاد طرق للعلاج من خلال دعوتهم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض، فاهتموا بالنمط الغذائي وبالمحيط، كما بحثوا في أسباب الأمراض ووجدوا لها الأدوية الناجعة لعلاجها، وبالتالي ساهموا في تطور العلوم الطبية وازدهارها سواء بتصديهم لتطبيب الجماهير فكان من بين أشهر أطبائه على سبيل المثال لا الحصر لاسيما ما بين القرون (6هـ و9هـ/12-15م) "أبو الحسن علي بن موسى بن شلوط البُلَنسي" (عمارة، 2016،



صفحة 172)، و"أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الشاطبي التلمساني" (الخطيب، 2008، صفحة 230)، الطبيب الخاص للسلطان "أبو تاشفين الأول" (ت 737هـ/1337م)، و"ابن إندراس" سابق الذكر الذي بلغ درجة عالية في الطب وفن التطبيب، فقد كان متخصصا في طب النساء والتوليد، فضلا عن الصيدلة والنظر في أنسب الأدوية وكيفية استعمالها، كما برز أيضا "أبو الفضل المشذالي" (ت 865هـ/1461م) ببجاية، فكان وحيد عصره وفريد دهره في مهنة الطب، يلجأ إليه الناس طلبا للدواء إذ كانت له مقدرة فائقة في معالجة المرضى وصناعة الأدوية (ابن مريم، 1986، صفحة 312).

كما ساهموا في مجال إجراء التجارب واستنباط النتائج وإجراء العمليات الجراحية من ذلك الطبيب "أبو عبد الله محمد بن أبي موسى التلاليسي" (ت بعد 767هـ/1362م) سابق الذكر الطبيب البارع الجراح وكان من أطباء البلاط في عهد السلطان "أبي حمو موسى الثاني"، (فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 2002، صفحة 248) وساهموا أيضا في تدريب الطلبة وتدريبهم إلى جانب تصنيف الكتب في هذا الفن، وهو ما سنأتي على ذكره.

3- مساهمة علماء المغرب الأوسط في إنتاج وتحصيل المعرفة الطبية:

3-1- تدريس العلوم الطبية بالمغرب الأوسط:

يعد تعليم الطب بحواضر المغرب الأوسط من أهم مظاهر تطور الحركة الطبية به، وفي الواقع أنّ بداية تدريس الطب ببلاد المغرب عموما كانت في عهد "إبراهيم بن الأغلب الثاني" الذي قام ببناء بيمارستان وألحقه بالمدرسة، وجلب لها الأطباء والكتب من المشرق (التليسي، 2003، صفحة 490)، ليستمر تدريسه في الفترات اللاحقة، فبالموازاة مع تقدم الحركة العلمية بالمغرب الأوسط لا سيما خلال العهد الموحيدي ثم الزياني التي كان لها أثر في تقدم العلوم الطبية، ظهر علماء كبار تولوا مهمة تدريس علوم الطب النظرية والعملية.

فكان الجانب الأول ألا وهو النظري يتم بإقامة حلقات لتدريس علم الطب في بعض مساجد ومدارس المغرب الأوسط (فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 2002، صفحة



248) كالمسجد الجامع ببجاية والمدرسة اليعقوبية بتلمسان، بالإضافة إلى مجالس الخلفاء التي كان لها دور كبير في تدريس الطب وتطويره، أين شكلت حلقات بحث ضمت العديد من العلماء لمناقشة المسائل الطبية، مما مكن الأطباء من مناقشة وتحليل قضايا مهمة على شكل مناظرات يستعرضون فيها معلوماتهم وقدراتهم العلمية والمعرفية، فأعطى ذلك دفعا كبيرا للبحث والتعمق والإتيان بالجديد في هذا العلم (شحات، 2013-2014، صفحة 51).

أما فيما يخص طريقة التدريس فكان يقوم أحد الطلبة بقراءة بعض الفقرات من كتاب معتمد في الطب، ثم يتولى الأستاذ الطبيب شرحها وتفسيرها للطلبة مع الاستعانة ببعض الأدوات الطبية إن دعت الحاجة، ثم يفتح المجال للمناقشة بطرح الأسئلة على الأستاذ فيما أشكل عليهم فيه، ويمكن لنا أن نستدل في ذلك بما جاء عن "الغبريني" في معرض حديثه عن الحكيم "أبو القاسم الأموي المكنى ابن إندراس" (ت 674هـ/1274م) بقوله: "...كانت له حدة ذهن وجودة فكر تبسيط لإقراء الطب ... وكان حذقا إذا سئل عن المسألة الطبية كثيرا ما يتوقف عن الجواب إلا بعد النظر في الأسباب وتميزها والحدس على السبب الفاعل إن تعارضت وينظر أنسب الأدوية وحينئذ يقع الجواب وهذا حال حذاق الأطباء ..." (الغبريني، 2007، صفحة 38)، واشتهرت كذلك هذه الطريقة عند "أبو عبد الله الشريف التلمساني" (ت 771هـ/1371م) الذي كان إماما في العلوم العقلية كلها طبيا وتشريحا (ابن مريم، 1986، صفحة 173).

بينما كان الجانب العملي للطلبة يمارس في البيمارستان التي كانت تحوي أيضا كراسي لتدريس هذا العلم نظريا (فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 2002، صفحة 248)، فقد كانت بمثابة كليات ومعاهد علمية لتعليم الطب، يقوم فيها الطلبة بتطبيق معارفهم النظرية، أين توجد الحالات المرضية ماثلة أمام أعينهم والأدوية والعلاجات قريبة ومتوافرة (عادل، 1987، صفحة 48)، فيختبر الأستاذ المدرس طلبته لمعرفة مدى تحصيلهم المعرفي الذي تلقوه في المسجد أو المدرسة، فبعد أن يفحص الأستاذ المريض يطلب من الطالب إعادة فحصه وتشخيص المرض وعرض عليه كل ما يعرفه عن هذا المرض وعن العلاج المناسب له (شحات، 2013-2014، صفحة 52)، إلى جانب ذلك كان



يتم بهذه البيمارستانات إجراء العمليات والتجارب من أجل بلوغ النتائج (العود، 2016، صفحة 3)، وللإشارة كان على الطالب متى أتمّ دراسته في فن من فنون الطب أو كتاب معين فيه، تقدّم إلى رئيس الأطباء وطلب منه إجازته للاشتغال بالطب (عادل، 1987، صفحة 48).

والجدير بالذكر في هذا الصدد أنّ بعض حواضر المغرب الأوسط استقطبت بعض الطلبة ممن كانوا يرغبون في التخصص في علم الطب دون العلوم الأخرى (الخطيب، 2008، صفحة 224)، من ذلك الرحالة المصري "عبد الباسط خليل" الذي حلّ بتلمسان بهدف دراسة علم الطب، فأخذ عن أشهر المدرّسين بها، منهم على سبيل المثال: "محمد بن علي بن فشوش" (ت 840هـ/1438م)، فجاء عنه في هذا الصدد: "ولقينا بها جماعة أخرى من الفضلاء... والأطباء منهم محمد بن علي بن فشوش أحد أطباء تلمسان في المزاولة والدراسة، وسمعت من فوائده، وحضرت دروس بعضهم ونقلت عنهم أشياء وأجازوني.." (فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 2002، صفحة 249)، فهو يعدّ من كبار أطباء تلمسان وأمهريهم، فبالإضافة إلى مهنة التطبيب كان يزاول مهنة تدريس هذا العلم لدى الطلبة بمدارس تلمسان خاصة المدرسة اليعقوبية التي كانت مخصصة لهذا النوع من الدراسات (بوشقيف، 2010-2011، صفحة 261)، فأخذ عنه إلى جانب "عبد الباسط خليل" الفقيه "أبو الفضل المشدالي" (ت 865هـ/1461م).

ويمكن لنا أن نضيف أيضا "موشي بن صمويل بن يهودا الإسرائيلي" المالقي الأندلسي اليهودي المعروف بابن الأشقر، والذي عدّ هو الآخر من أشهر أطباء تلمسان خلال القرن التاسع هجري، وقد أخذ عنه الكثير من الطلبة بتلمسان ولعل أبرزهم الرحالة المصري "عبد الباسط خليل" الذي لازمه سنة (869هـ/1464م) (زينب، 2015-2016، صفحة 333)، فقال عنه: "لم أسمع بذمّي ولا رأيت كمثلته في مهارته في هذا العلم (أي الطب).... واشتهر في صناعة الطب وانتقل إلى تلمسان فقطنها وقصده الكثير من الفضلاء للأخذ عنه، لازمته مدة وأخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطب وغيره وأجازني"، ونظرا لشهرته ومهارته وتفننه في الطب دخل في خدمة السلطان وانتهت إليه رئاسة الأطباء (خياطي، 2011، صفحة 82).



وإلى جانب هؤلاء تولى بعض العلماء من المغرب الأوسط تدريس العلوم الطبية من ذلك على سبيل المثال لا الحصر "أحمد بن محمد الجذامي" وهو من أهل قرطبة دخل المغرب الأوسط مستوطناً بجوار الدولة الزيانية، اشتهر بمهارته في الطب فاستفاد الناس من خبرته ومهارته العالية في الطب من خلال ممارسته إياه وتدريسه للطلاب (ابن الأبار، 1919، صفحة 158)، (الخطابي، د ت، صفحة 67).

و بحاضرة بجاية اشتهر بتدريس الطب "أبو العباس أحمد بن خالد المالقي" (ت 660هـ/1261م) فهو من العلماء المشاركين في الطب مع معرفة واطلاع في الحكمة والطبيعات والإلهيات، دخل المغرب الأوسط واستقر ببجاية إلى غاية وفاته، أين اتخذ من منزله داراً للتدريس وكان "الغبريني" من جملة من أخذ واستفاد منه، فقال عنه: "هو شيخنا الفقيه المشارك في الطب وفي الحكمة والطبيعات، وكان كثير الملكة في إمساك نفسه في البحث وجلس للإقراء ببجاية وكان يقرأ عليه كذلك في منزله، وقرأت عليه بعض الإشارات والتنبيهات لابن سينا من فاتحتها إلى خاتمتها" (الغبريني، 2007، الصفحات 36-37)، إلى جانب ذلك كان الحكيم "أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الدلسي" نزيل بجاية هو الآخر مزاولاً للطب علمياً وعملياً، أين كان مدرساً للطب النظري ومزاولاً ومعالجاً في نفس الوقت (الغبريني، 2007، صفحة 166).

وفي هذا الصدد لا يفوتنا التنويه بالمصنفات الطبية التي كانت شغل حلقات التدريس في هذا الميدان، بحيث شكل "كتاب القانون" لـ "ابن سينا" (ت 428هـ/1037م) عمدة الدراسات الطبية، (الغبريني، 2007، صفحة 38)، وكذلك "أرجوزته في الطب" التي تسمى بالمنظومة أو الألفية، وهي مختصر لكتاب القانون حتى تكون مرجعاً للأطباء ويسهل حفظها على الطلاب، يتراوح عدد أبياتها ما بين (1037-1337 بيت) اشتملت على أهم قواعد الطب، واضحة المعاني لمن تمارس على المصطلحات الطبية القديمة، بينما تحتاج للشرح للمبتدئين (زينب، 2015-2016، صفحة 328).

بالإضافة إلى كتاب "الموجز في الطب" لـ "ابن نفيس علاء الدين أبو الحسن علي" (ت 687هـ/1288م)، و "كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف" لـ "أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي" (ت بعد 404هـ/1013م)، الذي يعد موسوعة في صنوف المعارف



الطبية خاصة الجراحة، فهو يحتوى على ثلاثين مقالة تهتم نظريات عامة في الطب والدواء، وتقسيم الأمراض والأغذية والأدوية، والجراحة والكي وجبر الكسور، ومن مزايا هذا الكتاب تخصيص حيز لمعجم لأسماء العقاقير، وذكر الأوزان والمكاييل المستعملة في الطب، مرتبة على حروف المعجم (حمادة، 2016، صفحة 128)، قال عنه "ابن حزم": "قد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا أنه لم يؤلف في كتب الطب اجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن" (المقري، 1968، صفحة 175).

ويمكن ذكر أيضا كتاب "تقويم الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية" لـ "يوحنا بن بختيشوع" (ت731هـ/1330م)، و"كتاب المنصوري" لـ "أبي بكر زكرياء الرازي" (ت313هـ/965م) (قريان، 2011، الصفحات 253-254)، وربما كان طلبة الطب يتداولون كتاب "المسنون في أحكام الطاعون" لابن قنفذ الخطيب القسنطيني، أو يعلقون ويشرحون "شرح رجز ابن سينا" لمحمد بن يوسف السنوسي" (موسى، 2000-2001، صفحة 216).

2-3- الإنتاج المعرفي لعلماء المغرب الأوسط في العلوم الطبية:

لا مجال للشك أن دور أطباء المغرب الأوسط لم يقف على الجانب التطبيقي المتمثل في علاج المرضى وتطبيبهم، وإنما تتجلى لنا مساهمتهم في مجال العلوم الطبية أيضا من خلال حركة التدوين والتأليف للعديد من المصنفات الطبية التي ساهمت بشكل كبير في تطور هذا العلم، وكذا إنتاج العديد من الأدوية المنتجة من الأعشاب الطبية المتوفرة، وفيما يلي ذكر لأشهر علماء الطب وما جادت به قريحتهم من إنتاج علمي في هذا المجال:

أبو جعفر عمر بن علي البذوخي القلعي المغربي" (ت575هـ/1079م): الذي كان عالما بالأدوية المفردة والمركبة، حسن النظر في الاطلاع على الأمراض وعلاجها، ترك عدة مؤلفات منها "شرح كتاب الفصول لأبقراط"، وكتاب "ذخيرة الألباب في الباءة"، و"المفرد في التأليف من الأشباه" و"حواش على كتاب القانون لابن سينا"، أصيب بالعمى في آخر عمره، وكانت وفاته بدمشق (عويس، 1991، صفحة 272)، (عادل، 1987، الصفحات 137-138)



أبو القاسم الأموي المكنى بابن إندراس (647هـ/1274م): سبقت الإشارة إليه، وضع أرجوزة في "أسماء الأدوية الطبية المفردة"، ذلك لأنه كان جيد المعرفة بالصيدلة ودراسة النباتات والبحث في خصائصها، والراجح أنه بدأ هذا الكتاب بالأندلس وأكمّله ببجاية بعدما أدرك خصائص النباتات بها وبحث عن صنوف النباتات الطبية وتسجيلها (الغبريني، 2007، صفحة 39).

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التلمساني الثغري ("عاش في ق8هـ/14م)، ساهم في علم الطب تأليفاً وتحصيلاً (ابن مريم، 1986، صفحة 114)، فألف معجماً صغيراً بأسماء النباتات والفوائد الطبية فيها أسماه "رسالة في الأدوية"، وهو عبارة عن قائمة لأنواع الأدوية الشائعة في الطب مرتبة على حروف المعجم، افتتحها بالحديث عن الأدوية النافعة لبرد الدماغ، وهي تحوي أضمدة وأدهان وغيرها، كما تصف هذه الرسالة دهون وأشربة وعجائن مع ذكر منافعها الطبية، كما تعرض فيها إلى بعض الأمراض السائدة في وقته كمرض العيون (فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 2002، صفحة 249)، توجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة بالخرزانة الحسنية بالرباط تحمل رقم 8545 (شخوم، 2013، صفحة 520)، كما وضع مؤلف خاص بالأدوية المتبعة للعلاج، وكانت بدايته بدواء يعرف بشيب المعجون الذي تكمن أهميته في معالجة داء المعدة، وأكد "الثغري" على أن هذا الدواء يدهن به الصدر وله منافع متعددة بتعدد المرض، منها معالجة برد الكلى والمثانة والظهر (شخوم، 2013، الصفحات 521-522)، (بوشقيف، 2010-2011، صفحة 297).

أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني (ت776هـ/1375م: كان متضلعا في العلوم الدينية والأدبية، وساهم في الطب والتطبيب بحيث ترك مصنفين وهما كتاب "الطب المسنون في دفع الطاعون"، و"أطيب الطيب"، كانت وفاته بالقاهرة سنة (776هـ/1375م) (خياطي، 2011، صفحة 81).

الحسن بن علي بن قنفذ القسنطيني (ت750هـ/1349م) والد "ابن قنفذ الخطيب"، ساهم في مجال الطب بكتابه "المسنون في أحكام الطاعون" و كان السبب من وراء تأليفه هذا هو اختلاف الطلبة في الفرار من مرض الوباء، فذكر فيه الوباء وأحكامه الشرعية.



أحمد ابن قنفذ الخطيب القسنطيني (ت810هـ/1407م) ساهم بمؤلف في الطب سماه "أرجوزة في الطب" مطلعها (قويسم، 2014-2015، صفحة 403):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنِيرِ الْقَادِرِ *** الْأَحَدِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الْقَاطِرِ.

ومؤلف آخر "أنس الحبيب عند عجز الطبيب" (القسنطيني، 1982، صفحة 14)، وهو كتاب في التصوف ويدخل في الطب النفسي، حيث يعالج العالم الصوفي بعلم الباطن أمراض الفرد والمجتمع مثلما يعالج الطبيب جسم الإنسان بعد فشل الطب في علاج الفرد، لذلك جاء عنوانه أنس الحبيب عند عجز الطبيب (قويسم، 2014-2015، صفحة 402)، لكن للأسف هو مفقود، وألف كذلك أرجوزة في الأغذية والأشربة، تتألف من مائتين وثمانية وتسعين بيتا، جاء في مطلعها (قويسم، 2014-2015، صفحة 403):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا مِنْ أَدَى *** يَلْحَقُهُ وَلَا إِخْتِيَاجَ لِعَدَا

الْصَمْدُ الْفَرْدُ الَّذِي لَا يُطْعَمُ *** وَعَمَتِ الْعَالَمَ مِنْهُ النِّعَمُ.

أحمد بن يوسف التيفاشي: من مؤلفاته في الطب "الشفاء في الطب المسند عن المصطفى صلى الله عليه وسلم" وهو كتاب اختصره من كتاب الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني، وله أيضا كتاب "رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه"، وأيضا "رسالة فيما يحتاج إليه الرجال والنساء من استعمال الباه مما يضر وينفع" (قويسم، 2014-2015، صفحة 405).

كما أسهم بعض الفقهاء في الطب وإن لم يكونوا متخصصين فيه مثل "ابن مرزوق الخطيب الجدي" (ت781هـ/1380م) الذي ألف كتاب "الانتباه في معالجة الباه" (بوشقيف، 2010-2011، صفحة 262)، وساهم عالم التوحيد "محمد بن يوسف السنوسي" (ت895هـ/1489) في ميدان الطب، من خلال شرح "أرجوزة ابن سينا" في الطب لكنه لم يكملها، و"مجربات في الطب" جمع فيه ما جربه بنفسه من الفوائد والعلاجات والأدعية المستجابة (أنظر التعليق رقم 05)، بالإضافة إلى "مقدمات الفوائد" الذي يتكون من 144 ورقة في الطب، وكتب في الطب النبوي مثل "شرح حديث المعدة



بيت الداء والحمية رأس الدواء"، والراجح أنّ لهذا الكتاب عدّة عناوين منها "رسالة في الطب" و"تفسير ما تضمنته كلمات خبير البرية، من غامض أسرار الصناعة الطبية"، والذي أوضح فيه الحمية ثم انتقل إلى الأغذية والفواكه والأشربة وتأثيرها على الجسم، كما تحدث عن الهضم والأخلاق وتأثيرها على الصحة وواجبات الإنسان في حفظ المعدة والعناية بها (فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، 2014، صفحة 123).

-خاتمة:

من خلال ورقتنا البحثية هذه يمكننا القول، أن المغرب الأوسط شهد في الفترة الممتدة من القرن 06هـ/12م إلى القرن 09هـ/15م حركة طبية واسعة ضمن مجموع الحركة العلمية النشيطة التي شهدتها مدنه وحواضره خلال الفترة، والواقع أن الحافز والانجاز كان من وراء تشجيع الحكام والسلاطين الذين حرصوا على جلب واستقطاب العلماء، وتوفير كافة السبل لممارسة صناعة الطب وتحسين رعاية المرضى ببناء مؤسسات استشفائية كبيمارستان بجاية لتكون صرحا لإنجازاتهم الطبية وتجاربهم، فضلا عن استقرار الجالية الأندلسية بحواضره كتلمسان وبجاية وقسنطينة التي شكلت معينا خصبا وموردا أساسيا لازدهار العلوم الطبية تدريسا وتأليفا، ولا غرو أن نؤكد ذلك ببروز مجموعة من الأطباء الذين اختلفت أصولهم، فمنهم من كان من حواضر المغرب الأوسط كبجاية وتلمسان وقسنطينة مثل "محمد بن أبي جمعة التاليسي" وغيره، ومنهم من وفد إليها من أرض الأندلس سواء أكان مسلما أو ذميا للاستقرار بها مثل الطبيب الأندلسي "أبو القاسم الأموي" المكنى "ابن إندراس"، والطبيب اليهودي "موشي بن صامويل" والطبيب اليهودي "أستورك كوهن" وغيرهم، فساهم جميعهم في تطور الطب سواء مهنة تمارس أو علم يدرس نظريا أو عمليا، ما أدى إلى ملازمة عدد من الطلبة لهم ولمجالسهم، ولم يقتصر طلبتهم على أبناء موطنهم، بل قصدهم الطلبة من مختلف الأنحاء، كما امتدت ملازمة الطلبة لهم أحيانا لسنوات،



كما هو الحال مع طالب العلم الرحالة المصري "عبد الباسط بن خليل" الذي توجه إلى كافة الأقطار المغربية بما فيها بجاية وتلمسان وغيرها طالبا دراسة الطب وممارسة التطبيب، فدامت إقامته بالمغرب والأندلس من حوالي سنة 866هـ إلى 871هـ وهو تاريخ رجوعه إلى مصر.

ولم يكن إسهام علماء الطب بالمغرب الأوسط مقتصرًا على التطبيب أو جلوسهم مجلس التدريس، بل برز أيضا جماعة من الأطباء الذين كان لهم دور كبير في ازدهار الطب أكثر فأكثر، بدليل ما تركوه من تأليف وتدوينات طبية وإنتاج العديد من الأدوية المنتجة من الأعشاب الطبية المتوفرة بمجال المغرب الأوسط.

التعليقات:

التعليق رقم 1: أفرد "عبد الرحمن ابن خلدون" في مقدمته حيزا للتعريف بالطب، بحيث خصص له الفصل الخامس والعشرون يعرفه بقوله: "صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يَمْرُضُ وَيَصِحُّ فيحاول صاحبها حفظ الصحة ويُزِيلُ المرض بالأدوية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها محاذين لذلك قوة الطبيعة فإنها المدبرة في حالي الصحة والمرض وإنما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى الجامع ... " (ابن خلدون ع، 2016، صفحة 405).

التعليق رقم 02: جالينوس (130م-200م): هو طبيب يوناني عاش في العصر الروماني، يجيء بعد أبقرط علما وشهرة، وقد قام بجمع آثار هذا الأخير في الطب وحفضها من الضياع، قام المسلمون بترجمة كتبه في عهد الترجمة، قال عنه "ابن خلدون": "إمام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيها من الأقدمين... وتأليفه هي الأمهات التي اقتد بها جميع الأطباء بعده".



التعليق رقم 3: يوحنا بن ماسويه أبوزكرياء: من علماء الأطباء، سرياني الأصل عربي المنشأ، جعله "هارون الرشيد" أميناً على الترجمة وعهد إليه بترجمة كتب الطب القديمة الموجودة في أنقرة وعمورية وغيرها من بلاد الروم، له أربعين مؤلفاً من بينها "النوادر الطبية" وغيرها.

التعليق رقم 3: ابن إندارس: اشتهر بالبراعة في تشخيص الأمراض والتبسط في البحث فيها، استقر ببجاية في حدود سنة (650هـ-660هـ/1253-1263م)، وهي التي وقّرت له جميع ظروف العمل والإبداع المتميز، ذلك أنّ جبلها أمسيون الواقع شمالها كانت تنبت في أكنافه جملة من النباتات المنتفع بها في صناعة الطب مثل: البرباريس والقنطاريون والراوند الاسفيوس وغير ذلك من الحشائش، له رجز نظم فيه بعض الأدوية.

التعليق رقم 4: البيمارستان: لفظ فارسي يتكون من مقطعين: "بیمار" بمعنى مريض أو عليل و"ستان" بمعنى مكان أو دار، وبهذا فهي تعني "موضع المريض" أو "المكان المخصص للمرضى"، كان "إبراهيم بن الأغلب الثاني" أول من ابتنى بيمارستاناً في بلاد المغرب الإسلامي وألحقه بمدرسة جلب لها الأطباء والكتب من مختلف الأقطار، وقد عرفت تلك البيمارسات في كتب التراجم والطبقات الإفريقية بالدمنة التي هي في الأصل عبارة عن ناحية من نواحي مدينة القيروان أنشئت فيها تلك المستشفيات.

التعليق رقم 05: يرى الباحث عبد العزيز الصغير أن هذا الكتاب يشكك نسبه إلى "السنوسي"، بحيث اطلع عليه ورأى أن أفكاره تتعارض مع العقلية الفكرية المتحررة لدى "السنوسي"، وهو مطبوع بهامش مجربات الشيخ "أحمد الديزلي الكبير" المسمى "فتح الملك المجيد المؤلف لنفع العبيد وقمع كل جبار عنيد"، ينظر محمد بن يوسف السنوسي، ص ص 133-134.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي أصيبعة. (1988). عيون الأنباء في طبقات الأطباء. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الأبار. (1919). التكملة لكتاب الصلة. الجزائر: المطبعة الشرقية.



- بحاز ابراهيم بكير. (1993). الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م، دراسات في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية. غرداية-الجزائر: نشر جمعية التراث - القرارة.
- برونشفيك روبار. (1988). تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15. (حمادي الساحلي، المترجمون) بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- بالناصر القعود زكية. (فبراير، 2016). المدارس في الحضارة الاسلامية من 1-9هـ، 7-15م. مجلة العلوم والدراسات الانسانية، الصفحات 1-10.
- البركة محمد ، سعيد بن حمادة. (2016). مصادر الغرب الإسلامي محاولة في التركيب والرصد. فاس: منشورات أنفو برانت.
- بوشقيف محمد. (2010-2011). تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط. جامعة تلمسان: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
- بلعربي خالد. (جوان، 2021). تطور العلوم الطبية في عهد الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في تقدم الحضارة الإنسانية (300-400هـ/912-1009م). المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 07(العدد 01)، الصفحات 40-65.
- الوزان حسن. (1983). وصف افريقيا. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الزباني أبو حمو موسى. (1982). واسطة السلوك في سياسة الملوك. تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزركلي خير الدين. (2002). الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (المجلد ج15). بيروت: دار العلم للملايين.
- زرهوني نور الدين. (2001-2002). الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس هجري/الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار.
- طه أحمد. (2001). مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين 488هـ-1056م إلى 688هـ-1269م دراسة سياسية وحضارية. الاسكندرية: دار الوفاء.
- المقري أحمد. (1968). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (المجلد ج3). بيروت: دار صادر.



- مطهري فاطمة. (2009-2010). مدينة تهمرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3هـ/8-9م)، مذكرة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي. جامعة تلمسان: كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الآثار.
- مزدور سمية. (2008-2009). المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط. قسنطينة: جامعة منتوري.
- ابن سينا. (1999). القانون في الطب (المجلد ج1). (تحقيق محمد أمين الضناوي، المترجمون) بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
- عويس عبد الحليم. (1991). دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. القاهرة: دار الصحوة- دار البقاء.
- بن عبد الله عبد العزيز. (ديسمبر، 1988). تعليم الطب بالمغرب الإسلامي. مجلة الأكاديمية، صفحة 25.
- عبد العزيز محمد عادل. (1987). التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عمارة محمد. (ديسمبر، 2016). الأثر العلمي للأندلسين بالمغرب الأوسط خلال القرن 7هـ/13م. مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، صفحة 171.
- ابن فرحون. (د ت). الديباج المذهب (المجلد ج2). القاهرة: دار التراث للطبع والنشر.
- فيلالي عبد العزيز. (2002). تلمسان في العهد الزياني (المجلد ج1). الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.
- فيلالي عبد العزيز. (2012). دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي. عين مليلة- الجزائر: دار الهدى.
- فيلالي عبد العزيز. (2014). بحوث في تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط. عين مليلة- الجزائر: دار الهدى.
- ابن الصغير. (1986). أخبار الأئمة الرستميين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- القونجي الصديق بن حسن. (1948). أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم (المجلد ج2). دمشق: وزارة الثقافة للإرشاد القومي.
- القسنطيني ابن قنفذ. (1982). الوفيات. بيروت: مؤسسة نوميض الثقافية للتأليف والترجمة.



- قراوش سمية. (2018-2019). إسهامات علماء تهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي 160-296هـ/777-909م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط. جامعة سيدي بلعباس: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
- قريان عبد الجليل. (2011). التعليم بتلمسان خلال العهد الزياني. الجزائر: جسر للنشر والتوزيع.
- قويسم محمد. (2014-2015). مدينة قسنطينة ما بين القرنين 10-13هـ/13-16م، دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط. جامعة الجزائر 02: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ.
- ابن رشد. (2013). الكليات في الطب. (تحقيق عمار طالبي، المترجمون) الجزائر: دار الأمة.
- رزيوي زينب. (2015-2016). العلوم والمعارف الطبية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ و9هـ/13 و15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي. جامعة سيدي بلعباس: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
- شحات زاهية. (2013-2014). الطب ببلاد المغرب في عهد الدولة الموحدية 524-667هـ/1126-1268م. جامعة الجزائر 2: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ.
- شخوم سعدي. (جوان، 2013). الصناعة الصيدلانية في الدولة الزيانية. مجلة البحوث الاجتماعية والتاريخية، الصفحات 517-524.
- الشريف محمد سيدي موسى. (2000-2001). الحياة الفكرية في بجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13-16م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي. جامعة الجزائر: كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ.
- التلمساني ابن مريم. (1986). البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- التليسي بشير رمضان. (2003). الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. بيروت: دار المدار الإسلامي.
- الخطيب ابن مرزوق. (2008). المناقب المرزوقية. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- ابن خلدون عبد الرحمن. (2016). المقدمة (المجلد ج1). بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.



- الخطابي محمد العربي. (د ت). الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- خياطي مصطفى. (أفريل - ماي, 2011). الطب والأطباء في تلمسان. مجلة الوعي، العددان (3-4).
- الذهبي شمس الدين. (1993). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي.
- الغبريني أبو العباس. (2007). عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. الجزائر: دار البصائر.